﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٤ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ١٦٦﴾ [الشّعراء: 164 - 166]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

العقيدةُ طريقُ إصـــلاحِ كـلِّ فاسدٍ، وتقويمِ كلِّ معوَجّ

لما جاء بيانُ أنَّ لوطًا مرسلٌ من قِبَل ربّ العالَمين، وأنّه أمينٌ على الرّسالة منَ اللّه تعالى، وهو عليهم من باب أولى، ووضَّحَ لقومه مقصودَ الرّسالة ومضمونَها، ناسبَ بعدَ ذلك أن يدفع عن نفسه ما قد يَظنّونَه من أنّه طالبُ مالٍ أو جاهٍ، فبيّنَ تَجَرُّدَه للّه تعالى، وأنَّ أَجْرَه منه وحْدَه، ثمّ شرع بعدَ بيانِ العقيدة - وهي أساسُ دعوته - بالدَّعوة لإصلاح الأخلاق، فالعقيدةُ هي المُنطلَق لكلِّ إصلاح، والوقودُ لكلّ تغيير، والطّاقةُ لكلِّ تجديد، فلا سبيلَ لإصلاح المُعْوَجِّ وتقويمِ المُنحَرِف إلّا بعدَ تثبيتِ الإيمان، وتقريرِ التّوحيد، فمَهّدَ لترك هذه الأخلاقِ المُنحَطَّةِ والأوضاعِ المُتردّيَةِ بالتّقوى، التي تنبثق عنِ الإيمان.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾: أَصْلُ (سأل) كلمة واحدة معناها الاستدعاءُ والطَّلَبُ، يُقالُ سأَلَ يسأَلُ سُؤالًا ومَسْأَلَةً، ورَجُلٌ سُؤَلَةٌ: كَثيرُ السُّؤالِ[1]، ويُقالُ: سأَلْتُهُ عن عِلْمٍ سُؤالًا ومَسْأَلَةً، أي: طَلَبْتُ معرفتَه، وسألْتُه الصَّدَقَةَ، أي: طلَبْتُ منه أنْ يتصدَّقَ عليَّ[2]، والسُّؤالُ: استدعاء معرفة، أو ما يؤدّي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدّي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللِّسان، واليد خليفة

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سأل).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 194.

له بالكتابة، أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللِّسان خليفة لها إمّا بوعدٍ، أو بِرَدٍّ[1]، وحقيقةُ السُّؤالِ في الآية هو الطَّلَب.

2) ﴿أَجۡرٍ﴾: أصلُ (أَجر) الجزاءُ على العمل[2]، ومنه سُمّيَ الثَّوابُ أَجْرًا؛ لأنَّ اللّهَ يَجْزي العَبْدَ عليه، والأجرُ أيضًا: العِوَضُ، مصدرُ أَجَرَهُ وآجَرَهُ يَأْجُرُهُ ويَأْجِرُهُ، والأجير: فعيل بمعنى فاعل أو مفاعل، والاستئجارُ: طلَب الشَّيء بالأجرة[3]، والمقصودُ بالأجر في الآية: العِوَضُ والجَزاءُ على العَمَل.

3) ﴿أَتَأۡتُونَ﴾: أصلُ الإتيان يدلُّ على مجيءٍ بسهولَةٍ، وهو أَخَصُّ مِن المَجيءِ، يُقال: أَتَيْتُهُ إِتْيانًا، أيْ: جِئْتُهُ، وأتاهُ، أَتْيًا، وإِتْيانًا: إذا صارَ إليّ، والإتْيانُ يُقالُ لِلمَجيءِ بالذّاتِ، وبالأَمرِ، والتَّدْبيرِ، وفي الخَيْرِ والشَّرِّ[4]، وهو أيضًا فعلُ الشّيء، يُقالُ: أَتَى زوجتَه إتيانًا، كنايةٌ عنِ الجِماع، والمَأْتَى مَوضِعُ الإتيان[5]، والمراد بالإتيان في الآية: كنايةٌ عَنِ الفعل القبيح، الَّذي يقع بينَ الذَّكَرين (اللِّواط).

4) ﴿ٱلذُّكۡرَانَ﴾: أصلُ (ذكر) يدلُّ على غِلَظٍ وقوَّة، ومنه ذُكور البَقْل: ما غَلُظَ منه، كالخُزامَى والأُقْحوان، وناقة مُذَكَّرَة: تشبه الذَّكر في عظم خلقها، وسيف ذو ذُكْرٍ، ومُذَكَّر: صارم، تشبيها بالذّكر[6]، والذَّكَرُ خلافُ الأُنثى، ويُجْمَع على ذُكور، والمُذْكِرُ: التي ولَدَت ذَكَرًا، والمِذْكار: التي تَلِدُ الذُّكْران عادةً[7]، وجُعل الذَّكَر كناية عن العضو المخصوص[8]، والذُّكران في الآية مراد به: جَمعُ ذَكَرٍ، وهو ضِدُّ الأُنثى.

5) ﴿وَتَذَرُونَ﴾: أصلُ (وذر) القَذْفُ والتَّرْك[9]، يُقالُ: فُلانٌ يَذَرُ الشَّيءَ، أي يَقذفه لِقلَّةِ اعتِدادِهِ به، ومن ذلك الوذرة: وهي قِطعةُ لحمٍ صغيرةٍ سُمّيت بذلك لِقلَّة الاعتداد

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سأل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).
(3) الراغب، المفردات: (أجر).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (أتي)، والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 37.
(5) الفيوميّ، المصباح المنير: (أتى).
(6) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (ذكر).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذكر).
(8) الراغب، المفردات: (ذكر).
(9) الأزهري، تهذيب اللغة، والسمين، عمدة الحفاظ: (وذر).

بها، والجمع وُذَر[1]، والعَرَبُ قد أَماتتِ المَصْدر من (يَذر) والفِعْل الماضي، واستعملته في الحاضِر والأمر، فإذا أرادوا المصدر قالوا: ذَرْه تَرْكاً[2]، والمقصود بالوذر في الآية: التَّرك، أي: تتركون الحلالَ الطَّيِّبَ، وتزهدون فيه، وتُهملونه.

6) ﴿عَادُونَ﴾: أصلُ (عدو) يدُلُّ على تجاوُزٍ في الشَّيْءِ وتقدُّم لما ينبغي أن يُقتَصَرَ عليه، يُقالُ: قَدْ عَدا فُلانٌ عَدْوًا وعُدوًّا، أَي: ظَلَمَ ظُلْمًا جاوَزَ فيهِ القَدْر[3]، ومنه تَعَدَّى النَّهْرَ، أيْ: تَجاوَزَهُ، وعدا عليهِ بِالسَّيْفِ يعدو عَدْوًا[4]، فالعَدْو مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الظُّلم والتَّجاوز، ولَيْسَ مِنَ الاعْتِداءِ الَّذي مثاله قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: 31]، فالعَدْوُ تَجاوُزُ الحَدِّ في الظُّلْم[5]، والعادي: هو الَّذي تجاوزَ حدَّ الحقِّ إلى الباطلِ، ومعنى قوله تعالى: ﴿عَادُونَ﴾: متجاوزون ما أباحَهُ اللّه لكم منَ الحلال إلى الحرام[6].

المَعْنى الإجْماليُّ:

تجـرُّدُ لـوطٍ في دعوته، وإنكارُه على قومه ما هم عليه من شُذوذٍ وانحراف

تُبيِّن الآياتُ الكريمة الموقفَ الواضحَ للوطٍ عليه السلام، في كونه لم يطلب على دعوته ثوابًا أو مكافأةً، فما ثوابُه إلّا على ربّ العوالم كلّها، الذي خلقها وتكفّل بها، وأنكر عليهم فعلَهم الفاحشة في الذّكور وتركِ نساء العالَمين، تاركين الحلالَ الطّيب إلى الشّاذِّ المنكر الخبيث، وبيّنت تعجُّبَه عليه السلام من كيفيّة تَرْكِهِمُ الحلالَ الطيّبَ الذي خلقه اللّهُ لهم منَ النّساء، ظانّين أنّ الشّذوذَ حقٌّ لهم، وهم بذلك يعتدون الاعتداءَ الآثم، ويأتون المنكرَ الغاشم، وترشدُ الآياتُ الكريمة إلى التّنبيه على أنَّ هذا الفعلَ الفظيعَ مخالفٌ للفطرة، لا يقع منَ

(1) السمين، عمدة الحفاظ: (وذر).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (وذر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عدو).
(4) ابن دريد، جمهرة اللغة: (عدو).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/ 274، 19/ 180.
(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (وذر).

الحيوانات العُجُم، فهو عمل ابتدعَه هؤلاء القومُ، ما فعلَه غيرُهم، وأنَّهم مخالفون جميعَ العالَمين منَ الأنواع التي فيها ذكورٌ وإناث؛ فإنّها ليس فيها البتّةَ ما يأتي الذّكور، وترشد إلى أكبر فاحشةٍ وقعت في الأرض، والعياذ باللّه تعالى[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو، ودلالتُها التّناسبيَّة:

زُهدُ الأنبياءِ بما في أيدي النّاس يمنحُهم القوّةَ في تقويم النّاس

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ عاطفةٌ، عطفت الجملة على ما قبلها ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾، فهي من ضمن القول الذي قاله لهم، تعريفًا برسالته ومهمّته، "أي: علمتم أنّي أمينٌ لكم، وتعلمون أنّي لا أطلب من دعوتكم إلى الإيمان نفعًا لنفسي"[2]، "ولمّا أثبتَ الدّاعي إلى طاعته، نفى النّاهي عنها، فقال: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: الدّعاء إلى اللّه ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ أي: فتتهموني بسببه، ونفى سؤالَه لغيرهم منَ الخلائق بتخصيصه بالخالق، فقال: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾"[3].

فائدةُ استعمالِ (ما) النّافية:

كـلُّ أجـرٍ مـنَ العبادِ متوقَّعٌ، فهو عنِ القَبول واقع

(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ نافية، تنفي الفعل المضارع في الحال، أي: لم أسألكم عليه أجرًا مكافأةً مقابلَ دعوتي لكم إلى الخير، وهي تدخل على المضارع فتنفي الحال، وآثَر النَّظمُ استعمال (ما) دون غيرِها منَ الأدوات، للعموم، أي: ما أسألكم أجرًا ممّا يقع في خيال أذهانكم، وتحتَ منظارِ أفكاركم.

دلالةُ استعمال مفردةِ السّؤال مادّةً وصيغةً:

آثَرَ النّظمُ الكريم استعمالَ مفردة السّؤال في قوله تعالى: ﴿وَمَآ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 179، والجزائريّ، أيسر التّفاسير: 3/ 675.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 159.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 81.

﴿أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ دون أن يقال: (وما أطلب منكم)، ونحوُ ذلك، والسّؤال بمعنى طلبِ الشّيء؛ لبيان أنَّه لا يطلب صريحًا أو كناية، فهو لا يطلب المالَ صراحةً، ولا يسأل عنه بطريق التّلويح والإشارة، وهذا أبلغ في التّعبير من ذِكْر لفظ الطّلب.

رسلُ اللهِ تعالى لا يطلبون المالَ صراحةً ولا كنايةً

علّةُ التّعبيرِ بصيغة المضارع:

جيء بصيغة المضارع ﴿وما أَسْـَٔلُكُمْ﴾، فهو ﷺ لم يطلب مالًا ولم يستفهم عنه في الماضي، وهم يعلمون أنَّه لم يطلب، ونفيًا للحال والاستقبال، فإنَّ عدم السّؤالِ فيما مضى، لا يعني عدمَ السّؤالِ فيما يأتي، فعَمَّ النّفيُ الزّمان كلَّه.

لـيَـعُـمّ نـفـيُ الطّلب الزّمان كلّه

غرضُ استعمالِ حرفِ الاستعلاء:

تعدَّى فعل ﴿أَسْـَٔلُكُمْ﴾ بحرف (على) دون أن يتعدَّى بنفسه، فلم يقل: (أسألكم أجرًا)؛ وذلك لتضمينه معنى قايض وساوم، أي: لا أطلبُ منكم أجرًا مقابلَ دعوتي لكم إلى الخير، أو جاهًا أو جُعْلًا، أو أيَّ عَرَضٍ دنيويّ، وقُدِّم ﴿عَلَيْهِ﴾ على القيد ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾؛ للاعتناء بالمُقدَّم، بالتّنبيه على أنَّه لا يسألهم الأجر عليه خصوصًا، والتّشويق إلى المُؤخَّر.

رُسلُ اللهِ تعالى لا يسألون الأجرَ ولا يُساومون العبادَ

تعيينُ مرجعِ الضّمير:

يرجع الضّمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ إلى الإيمانِ، أي: لا أسألكم على إيمانكم باللّه تعالى وتقواكم له وطاعتِكم لي من أجرٍ، وهو معلومٌ من عموم النّصوص الشّرعيّة، وإن لم يسبق لمرجع الضّمير ذِكْرٌ.

معنى ﴿مِنْ﴾ ودلالتُها:

جاء حرف ﴿مِنْ﴾؛ لتأكيد العموم، أي: أيُّ أجرٍ كان، فأشارَ بذلك إلى الإغراق في النّفي[1]، ولو قال: (وما أسألكم عليه أجرًا) لما شَمِل

نـفـي الـعـمـومِ أبلغ في الدّلالة على النّزاهة منَ النّفي المُجرَّد

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 62.

ما يَشْمَلُه دخولُ ﴿مِنْ﴾ منَ الاستغراق، واشتمالِ كلِّ أجرٍ يتصوّرُه الذّهْنُ، مهما قلَّ أو كَثُر.

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ ﴿أَجْرٍ﴾ وتنكيرِها:

دعـوةُ الأنبياءِ عظيمةٌ، ذاتُ جَهْدٍ ومشقّة

آثَر النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة ﴿أَجْرٍ﴾ دونَ (مال) أو (جاه) ونحوه؛ لبيان أنَّ ما يقوم به من عملٍ قد يُطلب عليه الأجرُ عند سائر النّاس، وللإشارة إلى أنَّ مهمّته ليست يسيرةً، بل هي أمرٌ عظيم يحتاج لجَهدٍ جهيدٍ وعملٍ دؤوب، كأيّ عملٍ يقوم به الأجيرُ، وينتظر أُجرتَه، ونُكِّر ﴿أَجْرٍ﴾ للتَّقليل، أي: أجرٍ ولو كان قليلًا، أو للإبهام، أي: أيِّ أجرٍ كان، كما أنَّ النّكرة في سياق النّفي تُفيد العموم.

عِلَّةُ فصلِ الجملة عمّا قبلها:

ربـطُ المعـاني بالمقـاصد من أعظم وسائلِ الإقنـاع لأهل العقول

حَسُن فصلُ جملةِ ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عمّا قبلها؛ إمّا لأنّها جملة تعليليّةٌ، فهو لا يسألهم على دعوته من أجرٍ؛ لأنَّ أجره على الله تعالى، ففيها بيانُ ما تقدَّم، فهي من كمال الاتّصال، وإمّا لأنَّها بيانيّةٌ مستأنَفَةٌ، جاءت جوابًا عن سؤالٍ يتبادَر إلى الذِّهن: فمَن يُثيبُكَ على هذا العمل؟ فأجاب: بأنّ أجرَه على الله وحْدَه، فبينَ الجملتين شِبهُ كمالِ الاتّصال، لذا حَسُن الفصلُ.

نوعُ ﴿إِنْ﴾ ودلالتُها:

﴿إِنْ﴾ بمعنى (ما) النّافية، بدليل الاستثناء، أي: ما ﴿أَجْرِيَ﴾ في دعائي لكم ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أي: الذي دَبّر جميعَ الخلائقِ وربّاهم[1].

لطيفةُ تكرارِ لفظِ الأجر مُضافًا إلى ياء المتُكلّم:

المقابلـةُ تدعـو العـقـولَ لاستحضـار الفروق

أعاد ذِكرَ الأجرِ في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ولم يُكَنِّ عنه بالضّمير احتراسًا؛ ليَستقيمَ الكلامُ، ويصِحَّ الاستثناءُ منه، وأعادَه بنفسه دونَ أن يقول: (ثوابي) أو (جزائي)؛ لبيانِ أنَّ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 63.

له أجرًا عند الله تعالى، ولإظهار الفرقِ بينَ الأجر الذي يتوهّمونه، والأجرِ الجزيلِ من ربِّ العالَمين، والإضافةُ في لفظ ﴿أَجۡرِيَ﴾ للمُلْكيّة والاختصاص، وفيه حَفْزٌ لهم على الامتثال؛ لينالوا أجورَهم من ربِّ العالَمين، كما يرجو لنفسه.

دلالةُ القَصْر بالنّفي والاستثناء:

التَّجرُّدُ في طلب الأجـر مـن الله وحدَه

أفاد القَصْر بالنّفي والاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أنَّ الأجر كلَّه منَ الله تعالى، لا مطمَعَ له فيهم، ولا رجاءَ من ورائهم، فالأجرُ خالصٌ منَ الله تعالى، وهذا يعني تجرُّدَه وإخلاصَه في دعوته، فجملة: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ تعميمٌ لنفي تَطَلُّبِه أجرًا على دعوتهم، سواء منهم أم من غيرهم[1]، وقد خاطبَ به كلُّ نبيٍّ قومَه؛ إزاحةً لما عسى يتوهَّمونَه، وإمحاضًا للنّصيحة؛ فإنَّها ما دامت مشوبةً بالمطامع بمَعْزِل عنِ التّأثير[2].

بلاغةُ استعمالِ حرف ﴿عَلَىٰ﴾:

تـشـوُّفُ لـوطٍ عليه السلام إلى الأجـر العظيم الموعودِ بـه مـن ربِّ العالَمين

أتى النّظمُ الكريم بحرف ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لإفادة أنَّه حقٌّ، وهو له عند الله تعالى؛ بناءً على وعد الله إيّاه، فقد عَلِمَ بأنّ الله لا يُخْلِف وعدَه، فصار بالوعد حقًّا على الله ألزمَ به نفسَه[3]، وحرفُ ﴿عَلَىٰ﴾ يقتضي أنَّه حقٌّ على الله، وذلك بالنّظر إلى وعده الصّادق[4]، كما عبّر بحرف ﴿عَلَىٰ﴾؛ للإشارةِ إلى عُلوِّ هذا الأجرِ، وهو يعلو عليكم، ولا يمكن أن تتسامَوا إليه؛ لأنَّه من ربِّ العالَمين، الذي يَدينُ له العالمون أجمعون بالرّبوبيّة والطّاعة والخضوع[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 241.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/ 216.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 241.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 237.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5378.

فائدةُ التّعبير بعنوان الرّبوبيّة:

معاني الرّبوبيّة تجمع بين تعظيم الله ومحبّته؛ الجامعةِ بينَ الرّهبة والرّغبة

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالرّبوبيّة في قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ للإشارة إلى أنَّه هو "الذي ربّاهم بنعمه، وأدرَّ عليهم فضلَه وكرمَه، والذي دبَّر جميعَ الخلائق وربّاهم"[1]، وهو "المُحسن إليهم بإيجادهم ثمَ تربيتِهم"[2]، فكان الواجبُ عليهم أن يتلقَّوا رحمتَه بالقَبول، ويقابلوها بالإيمان، فجاء التّعبيرُ بصفة الرّبوبيّة؛ تعظيمًا لهذا الأجر، فهو مِن قِبَلِ الخالقِ الرّازق، المالكِ المُدبّر، المُحسن، وأفادَ إيثارَ عنوانِ الرّبوبيّة هنا، أن يجمع العبدُ بين تعظيمه ومحبّتِه، فهو ربُّ العوالم كلّها، وهو مَليكُها وخالقُها، ومُدبِّرُها ومُصَرِّفُها، وهو المُحسنُ إلى عباده، المُتعهِّدُ لهم بالنّعم، المُتكفِّلُ لهم بالهداية والرّعاية.

معنى تعريفِ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ودلالةُ جمعِها:

كثرةُ العوالِمِ دليلٌ على عَظَمةِ ربّها الذي خلقها ودبّرها

(أل) في لفظ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ للاستغراق لتشملَ جميعَ العوالم، و﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ "جمعُ عالَم، والعالَم: اسمٌ موضوع للجمع، وهو كلّ موجودٍ سوى الله تعالى"[3]، وجمعُ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ للتّعظيم والتّكثير، فهي عوالمُ كثيرةٌ لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، ففيه تعظيمٌ لهذا الأجرِ الذي تكفّل به ربُّ العوالم كلّها، ومالِكِها ومُدبِّرِها، الذي عمَّ بفضلِه الوجودَ، وغمرَ بإحسانه كلّ موجودٍ، وفي هذا الجمعِ تعظيمٌ لمَن أرسله، وتعظيمٌ للأجر، وإشعارُهم بعَظَمة اللهِ ورحمته، فيهابونه ويحبّونَه.

غرضُ الاستفهام وبلاغتُه:

مَن شذَّ عن العالَمين استحقَّ إنكارَ رسولِ ربِّ العالمين

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ للتّوبيخ والإنكار والتّعجيب! أنكر عليهم هذه الفعلةَ الشّنيعةَ، وهذه الكبيرةَ الفاحشة، أي: أتأتون من بين أولاد آدمَ عليه السلام - على فرط

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 63.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 81.
(3) العكبريّ، التّبيان في إعراب القرآن: 1/ 5، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/ 28.

كثرتهم، وتفاوتِ أجناسهم، وغلبةِ إناثهم على ذكورهم في الكثرة - ذُكْرانَهم؛ كأنَّ الإناث قد أعوزَتْكُم، وهذا على معنى الاستغراق، أو أتأتونَ أنتُم - من بين مَن عداكم منَ العالَمين - الذّكرانَ، يعني: أنَّكم يا قومَ لوطٍ وحدَكم مختصّون بهذه الفاحشة، و(العالَمون) على هذا القول: كلّ ما يُنكَح منَ الحيوان[1].

بلاغةُ الكناية في قوله: ﴿أَتَأْتُونَ﴾:

آثَر النَّظمُ الكريم لفظَ الإتيان في قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾؛ لتضمنها معنى فعلِ الشّيء ومقاربتِه، ونظيرُه التّعبيرُ عنِ الجِماع بالقُربان: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: 222]، وهو كنايةٌ عن ممارسة الفاحشة وإتيانِ الرّجال، وهذا من أدب القرآن، وسُموّ عباراتِه، وهو كذلك من أدب نبيّ اللّهِ لوطٍ ﷺ وفطانتِه في انتقاء الكلمات، رغمَ أنّه يخاطبُ مَن تجاوز حَدّ الأدبِ، وأفرط في الفُحش والخَنا، وتمادَى في الفجور، وتظاهر بالفِسق، وخلعَ عذارَ الحياء، وتدثّر بثوب التّفحُّش والبَذاء.

مقتضى فقهِ الأولويّات البَدءُ بالأظهرِ فُحْشًا والأشدِّ أذًى

معنى التّعبير بالجمع في قوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾:

دلَّ جمعُ الفاعلين للفاحشة في قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾ على عموم البَلوى، واستشراءِ الدّاء، واستفحالِ الوباء في قريتهم، حتّى انغمسَ فيه الجميعُ، بل كانوا يتظاهرون بها في نواديهم ويُجاهِرون، ويتباهَون ويتنافسون: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: 29]، وفيه دلالةٌ على أنَّ الفاحشة أو الكفرَ إذا انتشر استعصى على الدُّعاة، وتمكَّن منَ النّاس، ويؤخذ منه: ضرورةُ المسارعةِ إلى تغيير المنكر عند وقوعه؛ كي لا يثبتَ مع تقادُم الأيام في النّفوس والقلوب واعتيادِ النّاس، فإنَّ النّاس إذا اعتادوا أمرًا استوثقوا منه، وإن لم تقنع به عقولُهم.

شيوعُ الشّذوذِ والفجور يوجب المسارعةَ في تغييره لمنع مُكنتِه

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 329.

دلالةُ صيغةِ الجمع في قوله: ﴿ٱلذُّكۡرَانَ﴾:

يـحـسُـنُ مع شـذوذِ السُّلوك غرابةُ الألفاظ

جاء جمع لفظِ ﴿ٱلذُّكۡرَانَ﴾ وهو جمع ذَكَر مقابل الأُنثى[1]، على وزن (فُعْلان) دون أن يجمع على (ذُكور)، وسِرُّ ذلك: هو الإشارةُ إلى غرابة الفعل الذي كان يفعله هؤلاء الذُّكران من قوم لوط، فناسبَ ذلك غرابةَ اللّفظ وقلّة استعماله، كما أنَّ كلمة ﴿ٱلذُّكۡرَانَ﴾ توحي باكتمال الذّكورة، وفي هذا تقبيحٌ لهم - لعنهم اللّهُ تعالى -، وفي جمع ﴿ٱلذُّكۡرَانَ﴾ دونَ الذّكور إمعانٌ في الإنكار عليهم، والتّشنيعِ بقبيح فعلِهم.

معنى ﴿مِنَ﴾ ودلالتُها:

شـذوذُ ذُكـرانِ قومِ لوطٍ انحرافٌ لـم يُـعـرَف في تاريخ البشر أو الحيوانات

﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فصليَّةٌ، تُفيد معنى الفصل بين متخالِفَين، بحيثُ لا يماثِلُ أحدُهما الآخر، وعليه فالمعنى: أنتم مفصولون منَ العالَمين، منعزلون عن صفاتهم الفطريّة، لا يماثلكم في ذلك صنفٌ منهم[2]، والمعنى: (أتأتون الذُّكران مُخالفينَ جميعَ العالَمين منَ الأنواع التي فيها ذكورٌ وإناثٌ)، فإنّها لا يوجد فيها ما يأتي الذّكور، ويقوّي هذا المعنى قولُه تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ [الأعراف: 80][3].

معنى التّعريف في لفظِ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

سـواء كـان الـتّـعـريـف للاستغراق أو الجنس، ففيه توبيخٌ لا يخفى

جاء تعريف ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ للاستغراق، على معنى: أنَّهم مختصّون بهذه الفاحشة من دون سائر النّاس، وقد يكون هذا التّعريف للجِنس، إذا أُريد بـ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ كلُّ ما يُنْكَح منَ الحيوان[4]، وفي احتماليّ معنى (أل) التّعريفية توبيخٌ لا يخفى.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 36، والآلوسيّ، روح المعاني: 19/ 115.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 179.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 179.
(4) ابن عثيمين، سورة الشّعراء دراسة بلاغيّة تحليليّة، ص: 188.

دلالةُ العطفِ في إظهار المعاني:

الشّذوذُ الجنسيُّ بينَ الرِّجال يُفضي إلى الشّذوذ بينَ النِّساء

الواو في قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾؛ للعطف المقتضي الاشتراكَ في الحُكم، إذ كلاهما مُنكرٌ خبيث، فالشُّذوذُ فِسقٌ شنيعٌ، وتركُ الزّوجات إضاعةٌ لحقِّهنَّ الشَّرعيّ، وإهمالٌ لهُنَّ، وتعريضٌ لهُنَّ للوقوع في الفاحشة، وإفسادٌ لفِطرتهنّ؛ ممّا قد يُفضي إلى انتشارِ السُّحاق بينَهُنّ، ولا تنتشر هذه الفِعْلَةُ الشّنيعةُ إلّا بسبب خَواء الأرواح، وفسادِ الأخلاق، معَ الحِرمان منَ الأزواج، فهو تعديدٌ لجرائمهمُ الأخلاقيّة، جريمةٍ تِلوَ الأُخرى، والأخرى لا تَقِلُّ عن جريمتهم الأولى، وهي إهمالُ النّساء، بالعُزوف عنِ الزّواج الطّبيعيّ، أو التّفريطِ في حَقّ الزّوجات.

بلاغةُ التّعبير بمفردة ﴿وَتَذَرُونَ﴾:

اشتمالُ (وتذرون) على إهمال المَتروك والنّفْرةِ منه

آثَر النّظمُ الكريم اصطفاءَ لفظِ ﴿وَتَذَرُونَ﴾ دونَ ما يقاربُه منَ الألفاظ، نحو: (تتركون)؛ لاشتمال ﴿وَتَذَرُونَ﴾ على معنى إهمال الشّيء والنّفور منه، فهو تركٌ معَ إهمال، كأنَّهم يرتكبون أمرين: إتيانَ الذُّكران، وتركَ النّساء، فالفعلُ يدلُّ على تركٍ مع نُفورٍ وإهمالٍ، يُقال: فلانٌ يَذَرُ الشَّيءَ، أي: يَقْذِفُه لقِلَّة اعتدادِه به[1]، بخلاف (تتركون) و(تَدَعون)، فقد يكون عن غير رغبة، وقد يَترك الشّيءَ وهو مُحبٌّ له، مولَعٌ به.

دلالةُ التّعبير بصيغة المضارع:

تصويرُ عمومِ البَلوى وشيوعِ الفُجور

جاء التّعبيرُ بصيغة المضارعة ﴿وَتَذَرُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾؛ ليدلَّ على إصرارهم على ذلك، وتماديهم فيه، وفيه تصويرٌ لبشاعة فعلِهم؛ تنفيرًا منه وتقبيحًا له، كما أنَّه دلَّ على شُيوع تلك الفاحشة فيهم، وتلطُّخهم بها، حتّى لم يبقَ منهم طاهرٌ مُتَعفِّفٌ، إلّا في بيت لوطٍ ﷺ، فدلّ هذا على

(1) الرّاغب، المفردات: (وذر)، والبروسويّ، روح البيان: 6/ 301.

ممارستهم جميعًا لهذا الفعلِ الشّنيع، وإن وُجِدَ مَن لم يشارك، فهو راضٍ عن فعلهم، مُسْتَحْسِنٌ له.

براعةُ فنِّ الطِّباق:

إتيانُ الرّجال وتركُ الحلائلِ منَ النّساء جريمتان متقابلتان متباينتان

دلَّتِ المقابلةُ بينَ الفعلين: ﴿أَتَأْتُونَ﴾ و﴿وَتَذَرُونَ﴾، على أنَّ الاشتغال بأحدهما إهمالٌ للآخر، وهو مُحسِّنٌ بديعيٌّ في هذا السّياق؛ روعيَ في هذا الطّباق الجمعُ بين متضادّين مع مراعاة التّقابل، وهو من فنون البديع، فإتيانُ الرّجالِ وتركُ الحلائلِ منَ النِّساء جريمتان متقابلتان، متباينتان، مع اتّصالهما بفاعل واحد.

معنى ﴿مَا﴾ ودلالةُ استعمالِها:

النَّظمُ القرآنيُّ يجمع قيمَ الأخلاقِ ومقاصدَ الشَّريعة

﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ موصولةٌ، أي: الذي خلق لكم ربُّكم، وعبّر عنِ الاسم الموصول بـ ﴿مَا﴾ دون (من)؛ لأنَّه يُشير إلى الجنس لا لفرد بعينه، ففيه تصويرٌ لبشاعة فعلِهم تنفيرًا منه، أو أنَّه عبّر بـ﴿مَا﴾ للإبهام، والمرادُ موضعُ الحَرْث، وفي ذلك مراعاةٌ للحَشْمة والتّصوّن[1]، والتّعبيرُ بصِلة الموصول ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾ للوصول إلى ما في حيِّز الصّلة من أنَّ خَلْق اللهِ هو المناسِبُ للفطرة والأنسب لهم، ففيه إيماءٌ إلى الاستدلال بالصَّلاحيّة الفطريّة[2]؛ إذ إنَّ ما خلقه اللهُ صالحٌ للفطرة، وما عداه مُجافٍ لها.

بلاغةُ استعمال مفردة الخَلْق مادّةً صيغةً:

الخروجُ عن الفطرة انتكاسةٌ توجِب العذابَ الماحِقَ

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بمفردة الخَلْق في صلة الموصول ﴿مَا خَلَقَ﴾؛ ليُكنيَ به عنِ المُراد، وهذا من أدب القرآن، وليردَّهم إلى الفطرة التي انقلبوا عنها وتمرّدوا عليها، ونوَّه بنعمة الله التي رفضوها، فهذا الأمر لا يخضع للتّغيير والتّطوّر البشريّ؛ لأنّه

(1) الصّافيّ، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 115.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 186.

انحرافٌ عنِ الطّبيعة التي خلق اللّهُ البشرَ عليها جميعًا، وفي قوله: ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾ إيماءٌ إلى الاستدلال بالصّلاحيّة الفطريّة لعملٍ على بُطلان عمل يضاده؛ لأنّه منافٍ للفطرة، فهو من تغيير الشّيطان وإفسادِه لسُنّة الخَلْق والتّكوين، قال تعالى: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۝١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النّساء: 117 - 119][1]، وجاء التّعبير بالفعل الماضي ﴿خَلَقَ﴾؛ لبيانِ أنَّ ما خلقَه اللّهُ وقضاه مضى في حُكْمه تعالى لا يتغيّر، فالفطرةُ لا تتبدّل ولا تتغيّر، مهما تغيّر الزّمان، كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الرّوم: 30].

معنى (اللّام) في ﴿لَكُمْ﴾، ونُكْتَةُ التّقديم:

الامتنانُ من أغراض تقديم القيود

(اللّام) في ﴿لَكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ للتّخصيص والتّعليل، أي: خلق من أجلِكم، فالسّياق سياقُ امتنان، وقُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿لَكُمْ﴾ على الفاعل ﴿رَبُّكُم﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾؛ لبيان عناية الله بهم، إذِ السّياق سياقُ امتنان.

نُكْتَةُ التّعبير بالرّبوبيّة:

حرصُ الأنبياءِ على ترسيخ معنى الرّبوبيّة في نفوس أقوامهم

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالرّبوبيّة في قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ دونَ الأُلوهيّة؛ لما يشمله هذا الوصفُ الجليل من معاني الخَلْق والتّقدير والرّعاية والإنعام والتّربية، وهو المناسبُ للإنكار عليهم فطرةَ الله التي فطرَ النّاس عليها، التي هي مظهرٌ من مظاهر ربوبيّته، أي: كيف تتركون ما خَلَقه لكم خالقُكم المتفضّلُ عليكم، المُدَبِّرُ لأموركم، والمُحسنُ إليكم!.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 179.

دلالةُ إضافةِ لفظِ الرّبوبيَّة إلى الضَّمير:

الإمعـانُ في تبكيتِ الشّاذّين المخالِفين لأمر ربِّ العالَمين

أُضيفَ لفظُ الرّبوبيّة إلى ضمير المخاطَبين في ﴿رَبُّكُم﴾؛ لتبكيتهم، والإمعانِ في توبيخهم، كيف يفعلون ذلك ويتركون الحلالَ الطّيبَ الذي خلقَه خالقُهم ورازقُهم ومالكُهم، ومُدَبّر أحوالِهم، المُشَرّع لهم، الهادي لما يُصلحهم؟[1] فهو ربّكم الذي أوجدكم من عدم، وخلقكم بطريق التّناسل الذي لا يكون إلّا بين الذّكور والإناث، فهو دالٌّ على أنَّ ما خلقه اللّهُ تعالى لعباده، من كمال ربوبيّته ورأفته بخَلْقه ورحمته بهم.

معنى ﴿مِّنْ﴾ ودلالتُها التّعريضيَّة:

بلاغـةُ الإيجـاز وسموُّ التّعبير، مـعَ التّعـريض بصنيع الشّواذ

﴿مِّنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ للبيان إن أُريد به جِنسُ الإناث، أو للتّبعيض إن أُريد الزّوجات، وعليه: فالمُراد موضعُ الإتيان منهنَّ، كنّى عنه أدبًا وترفُّعًا، وفيه تعريضٌ بأنّهم كانوا يفعلون مثلَ ذلك بنسائهم أيضًا، "وفيه دليلٌ على تحريم أدبار الزّوجات والمملوكات، ومن أجازه فقد أخطأ خطأً عظيمًا"[2].

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ الأزواج مضافة إلى ضمير الخطاب:

النُّـفـرةُ مـنَ الـفـطـرةِ سببُه اعتيادُ الباطلِ واسـتـنـكـاهُ الشّذوذ

المراد بالأزواج في قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ الإناث، وإطلاقُ اسم الأزواج عليهنَّ "مجازٌ مرسل بعلاقة الأَوْل، أي: باعتبار ما يكون"[3]، أي: من تَحِلُّ لكم إذا تزوجتُم بهِنَّ، ردّهم للفطرة، أو المراد بالأزواج؛ الزّوجات، وعلى هذا فالزّواج هو العقد بمعناه الشّرعيّ، والزّوجة هي التي حلّت بالعقد، أي: تتركون إتيانَ الزّوجات، وهو الحلالُ الطّيب، إلى إتيان الرّجال في أدبارهم، وإنّما جاء التّعبير بلفظ الأزواج دون الإناث: للإشعار بأنَّ

(1) العثيمين، تفسير سورة الشّعراء، ص: 261.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 330، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 148، وابن عادل، اللّباب: 5/ 67.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 179.

ما خلقه اللّه لهم لأجل استمتاعهم، إنّما هو قائم على رابطة الزّواج بينَ الذّكر والأنثى، ومشروطٌ بحصول العلاقة الزّوجيّة التي شرعها اللّهُ لهم، وفيها تعريض بمن ابتغى وراءَ تلك العلاقة الشّرعيّة.

دلالةُ إضافةِ الأزواج إلى ضمير المخاطَبين:

الحلالُ الطّيّب هو العلاج من إدمان الخبيث والسّقوط في الشّذوذ

إذا جعلنا المُراد بلفظ ﴿أَزْوَاجِكُمْ﴾ الإناث، فالإضافةُ للتّخصيص، والمقصود نفورُهم منَ الفطرة التي تقضي بالتّزاوج الطّبيعيّ بينَ الذّكر والأنثى، إلى الشّذوذ بإتيان الرّجلِ للرّجل، فالتّعبيرُ هنا مجازٌ عنِ الزّوجات باعتبار ما يؤول، وهذا ردٌّ لهم إلى الفطرة حيثُ خلق اللّهُ الذّكر والأنثى، وجعل بينَ الجنسين ميلًا فطريًّا، فلوطٌ ﷺ يردُّهم إلى الفطرة التي نكَّسوها، والطّبيعةِ التي تجاوزوها، إذ خلق اللّهُ النّساء للرّجال، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الرّوم: 21]، أو المراد بالأزواج: الزّوجات، وعلى هذا فالزّواج هو العقد بمعناه الشّرعيّ، والزّوجةُ هي التي حلَّت بالعقد.

معنى ﴿بَلْ﴾ ودلالتُها:

التّدرُّج في تبكيت أصحاب الفواحش، والانتقال في توبيخهم من حالٍ إلى حال

﴿بَلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ للإضراب، وهو في هذه الآية انتقالٌ من وصفٍ إلى وصفٍ، أو حالٍ إلى ما هو أسوأ منه، فلمّا أنكر عليهم حالَهم في فعل الفاحشة بالرّجال، وإهمالِ النساء، ذكر ما هو أعمُّ وأطمُّ، وهو أنّهم قومٌ اشتُهروا بالعُدوان على الحُرمات، حتّى صار ذلك وصفًا لازمًا لهم، وقيل: ﴿بَلْ﴾ للانتقال، تدرُّجًا في الإنكار والتّوبيخ، كعادة من يُنكِر، فتشتدُّ نبرةُ إنكاره، ويَغلُظ على المخاطَب، فينتقل من أسلوب التّلطُّف والتّرفُّق إلى أسلوب الشِّدّة والقَسْوة؛ تعنيفًا للمُذنب، وتأنيبًا له، وهذا من أسلوب التّدرُّج القائمِ على الحكمة والموعظة الحسنة في الدّعوة إلى اللّه تعالى، فهو إضرابٌ انتقاليٌّ من أسلوبٍ إلى

أسلوب، أو منَ التّوبيخ على ما هو منكر، إلى التّوبيخ على ما هو أشنَعُ وأقبَحُ[1].

نُكْتَةُ التّعريف بضمير الخطاب:

مَـنْ أصـرَّ على فُحْشِه حَريٌّ أن يُشَهَّر به

التّعريف بضمير الخطاب ﴿أَنتُمْ﴾ تشهيرٌ بفعلهمُ القبيح، الذي عُرفوا به دونَ غيرهم منَ العالَمين، وهذا الخطاب يُشْعِر بأنَّهم قومٌ تجاوزوا الحَدَّ في ارتكاب هذه المعصية على عِظَمِها، فأصبحَ أمرُهم ذائعًا معروفًا بينَ الأقوام، فالتَّعريفُ بضمير الخطاب جاء لغرض الذَّمّ والتّشهير.

بلاغةُ الجملةِ الاسميّة:

تأكيدُ المعاني، والمبالغةُ في تحقيق نسبتِها لأصحابها

جاء تصدير الجملة ﴿أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ بضمير الخطاب؛ تعظيمًا لقُبح فعلِهم، وتنبيهًا على أنَّهم هم مختصّون بذلك[2]، وللتّأكيد وبيان كونِ العُدوان وصفًا لازمًا لهم، فضلًا عنِ التّفنُّن في الأسلوب، فقد عُطِفَت على فعلين: ﴿أَتَأْتُونَ﴾، و﴿وَتَذَرُونَ﴾، فالاسميّة في ﴿أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ للثّبات والتّوكيد، فهذا دَيْدَنُكم ودَأْبُكم، وللمبالغة في تحقيق نسبة العُدوان إليهم[3].

فائدةُ ذِكْر لفظ ﴿قَوْمٌ﴾:

دِقّـةُ التّعبيرِ القـرآنيّ، ومصارحةُ لوطٍ قومَه بحالهم المُتردّيَة

جاء الإخبارُ عن قوم لوطٍ ﷺ بلفظ ﴿قَوْمٌ﴾، دون الاكتفاء بجعل ﴿عَادُونَ﴾ خبرًا عنهم؛ للتّنبيه على أنّ العُدوان سجيّةٌ فيهم، حتّى كأنّه من مقوّمات قوميّتِهم[4]، وهو وصمٌ لهم بالعار الذي جلبوه، ولطّخوا به جماعتَهم، حتّى صار مذمّةً وعارًا، وبات لهم شعارًا ودِثارًا، فالعُدوان الذي هو مجاوزة الحَدّ في الشّرّ وصفٌ لهم باعتبارهم قومًا، فهم عريقون فيه.

(1) ابن يعيش، شرح المفصّل: 5/ 27، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 179، منير سلطان، الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص: 95.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 82.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 180.
(4) ابن عاشور التّحرير والتّنوير: 19/ 180.

بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظ (العُدوان):

الشُّذوذُ وصفٌ لهؤلاء، لَطَّخَ سُمعَتَهم على مدى الحياة

آثَر النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة العُدوان دونَ الطّغيان؛ لأنَّ العُدوان تَعَدٍّ دائمٌ، وانتهاكٌ مستمِرٌّ عن عمدٍ، ومن غيرِ حقٍّ؛ فكُلُّه محظورٌ، والعادي: هو الذي تجاوز حَدَّ الحقِّ إلى الباطل، والحلالَ إلى الحرام، والطّيّب إلى الخبيث، فعدوانُهم خروجٌ عنِ الحَدِّ الموضوع بوضع الفطرة، إلى ما هو منافٍ لها محفوفٌ بمفاسد التّغيير للطّبع[1]، كما أنَّ العُدوان اعتداءٌ على النَّفس والفطرة والأخلاق، ويُلحظ فيه معنى الطُّغيان، فهو طغيانٌ وزيادة، فكان استعمالُه في هذا السّياق أبلغَ من لفظ الطُّغيان.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(يَذَرُ) و(يَتْرُكُ):

يـذر يـترك مع إهمال ونفور، والتَّركُ أعمُّ منه

يَذَرُ الشّيءَ بمعنى يترُكُه، إلّا أنّ التّعبير بـ (يَذَر، وذَرْ) فيه زيادة معنى؛ لأنَّه تركٌ للشّيء عن زهادة فيه ونفورٍ منه، كأنَّه يعافُه، ومنه المرأة الوَذِرَةُ، التي تُشَمُّ منها رائحةُ اللّحم، وهذا أمرٌ غيرُ مستحبٍّ.

"والتّركُ عند العرب: تخليفُ الشّيء في المكان الذي هو فيه، والانصرافُ عنه، ولهذا يُسَمّون بيضةَ النّعامة إذا خرج فرخُها تَريكة؛ لأنَّ النّعامَة تنصرف عنها، والتّريكةُ: الرّوضةُ يُغْفِلُها النّاسُ ولا يَرْعَونها"[2]، وتعبيرُ القرآن ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: تتركون متعمِّدين، مولَعين بالخبيث، نافرين منَ الطّيِّب، ومهملين للزّوجات.

السّؤال والطّلب:

الطّلبُ أعمُّ منَ السّؤال، والسّؤالُ يختصُّ بالاستفهام والمسألة

السّؤالُ بمعنى الطّلب، وقد يكون للاستفهام، والطّلب بمعنى السّؤال، وقد يكون لإدراك شيء واللّحاق به وإمساكه، والسّؤال لا يكون إلا كلامًا.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 180.
(2) السّيرافيّ، شرح كتاب سيبويه: 1/ 181، والعسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 124.

والطّلبُ: السّعيُ وغيرُه، وفي المثل: عليكَ الهربُ وعليّ الطّلبُ[1]، والطّلب قد يفتقر إلى جواب، وكلُّ سؤالٍ طلبٌ، وليس كلُّ طلبٍ سؤالًا، كما أنَّ "الطلب عامّ، حيثُ يُقال فيما تسأله من غيرك، وفيما تطلبه من نفسك، والسّؤال لا يُقال إلّا فيما تطلبه من غيرك"[2]، ولهذا قال تعالى على لسان رسله: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، أي: لا أفرض عليكم، ولا أساومُكُم، ولا أستجدي منكم، فأجْري كاملًا على الله تعالى.

الأجرُ والثّواب:

الأجرُ يكون على عملٍ دنيويّ أو أخرويّ، والثّوابُ أغلبُه لعمل الآخرة

ذُكِرَ الأجرُ في القرآن غالبًا في أجر الآخرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ [الأحزاب: 29]، وقد يأتي لأجر الدّنيا، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ [العنكبوت: 27]، بينما يأتي الثّواب في القرآن من جهة الله تعالى مضافًا إليه أو فعلًا له: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨﴾ [آل عمران: 148]. "وأصلُ الثّواب رجوعُ الشّيء إلى حالته الأولى التي كان عليها، أو إلى حالة المُقدّر المقصودة بالفكرة، وهي الحالة المشارُ إليها بقولهم: آخرُ الفِكْرة أوّلُ العمل، فمنَ الأوّل: ثابَتْ إليه نفسُه، وثابَ إلى داره، ومنَ الثّاني: الثّوبُ؛ سُمّي بذلك لأنّ الغَزْلَ رجع إلى الحالة التي قُدّرَ لها بالفِكْرة، والثّواب من ذلك، وإنّما سُمّي الجزاء ثوابًا تصوُّرًا أنّه هو هو، ألا ترى كيف جعلَهُ نفسَ الفعلِ في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧﴾ [الزّلزلة: 7]، ولم يقل: يُجْزاه، والثّوابُ وإنِ استُعمل في الخير والشّرّ - كما تقدم - إلّا أنّه غلبَ في الخير"[3].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 286.
(2) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 917، والدّهلويّ، حجّة الله البالغة، ص: 129.
(3) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (ثوب).

العُدوان والظّلم:

الـظّـلـمُ أعـمُّ مـنَ الـعُـدوان، ويختصُّ بتجاوز الحَدِّ المطلوب

العُدوان: مجاوزةُ الحَدّ في الاعتداء والإثم، والظُّلم: وضع الشّيء في غير موضعه، فكلاهما تجاوزٌ، وكلُّ عُدوان ظُلْمٌ، وليس كلُّ ظُلْمٍ عدوانًا، فهناك ظُلْمُ الإنسان لنفسه، بتقصيره في حَقّها، وقد ورد العدوان في القرآن لمجاوزة الحَدّ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [النّساء: 30]، وقد وقع قوم لوطٍ في الأمرين: العدوان كما وصفهم لوط عليه السلام: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾؛ فإنَّ من وضعَ الشَّهوةَ في غير موضعها عادٍ آثمٌ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون: 5 - 7].

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»